بسم الله الرحمن الرحيم

عَلَامَاتُ قَبُولِ الْعَمَلِ ١ شَوَّالٍ ١٤٤٦هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: النِّعَمُ تَدُومُ وَتَزِيدُ بِالشُّكْرِ، فَمَنْ أَدَّىٰ عِبَادَةً، وَحَمِدَ اللهَ وَشَكَرَهُ عَلَيْهَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ عِبَادَةً بَعْدَهَا؛ لِيَنَالَ ثَوَابَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾؛ وَلِذَا شُرِعَ قَوْلُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ؛ لِشُكْرِ اللهِ عَلَىٰ أَدَاءِ تِلْكَ الْفَرِيضَةِ.

عِبَادَ اللهِ: الْمُسْلِمُ إِذَا فَرَغَ مِنْ عِبَادَةٍ أَعْقَبَهَا بِعِبَادَةٍ أُخْرَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ: فَادْأَبْ فِي الْعَمَلِ. اهـ

إِنَّ الْعَاقِلَ اللَّبِيبَ لَا يَرَىٰ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ، وَيَخَافُ ذُنُوبَهُ، وَيَعِيشُ دَهْرَهُ مُنْشَغِلًا بِهَا، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «طَرِيقِ الْهِجْرَتَيْنِ»: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَلَبَ رُؤْيَةَ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ مِنْ قَلْبِهِ، وَالْإِخْبَارَ بِهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَشَغَلَهُ بِرُؤْيَةِ ذَنْبِهِ. اهـ

إِنَّ الْعَاقِلَ الْحَصِيفَ مَنْ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا حَفِظَهُ بِالْحَذَرِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشِّرْكِ؛ إِذِ الشِّرْكُ يُحْبِطُ الْحَسَنَاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى الدِّينِ مِنْ عَزَائِمِ الْأُمُورِ؛ وَلِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ». أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ». وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ». قَالَ: «وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: انْقَضَىٰ شَهْرُ رَمَضَانَ، تِلْكَ الْمَحَطَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ الَّتِي تَزَوَّدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّائِرِينَ إِلَىٰ

اللهِ، فَطُوِيَتْ صَفَحَاتُ تِلْكَ الْأَيَّامِ بِمَا أُودِعَ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَخَرَجْنَا مِنْهُ بَعْدَ أَيَّامِهِ الْمَعْدُودَاتِ:

رَعَىٰ اللهُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيا ... خِفَافًا بِنَا مَرَّتْ كَمَرِّ السَّحَائِبِ

وَيَا لَيْتَهَا لَمْ تَمْضِ عَنَّا فَفَقْدُهَا ... عَلَىٰ النَّفْسِ إِحْدَىٰ مُوجِعَاتِ الْمَصَائِبِ

عِبَادَ اللهِ: رَمَضَانُ هُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي ذُقْنَا فِيهَا لَذَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَامْتَلَأَتْ فِيهِ مَسَاجِدُنَا بِالْمُصَلِّينَ، وَتَكَاثَرَتْ أَعْدَادُ الْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ، فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ لُزُومِ مَا اعْتَدْنَا عَلَيْهِ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ حَتَّىٰ نَنْعَمَ بِعَطَايَا رَبِّ الْبَرِيَّاتِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.

مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا القَانِتُ الْقَارِي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَا أَنْتُمْ وَدَّعْتُمْ ضَيْفًا عَزِيزًا، وَمَوْسِمًا مُبَارَكًا، بَذَلْتُمْ فِيهِ الْجُهُودَ، وَأَتْعَبْتُمْ فِيهِ النُّفُوسَ، وَانْسَكَبَتْ فِي لَيَالِيهِ الْعَبَرَاتُ، وَارْتَفَعَتْ فِي سَاعَاتِهِ إِلَىٰ اللهِ نَجْوَاكُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا شَهْرَ رَمَضَانَ آخِرَ عَهْدِكُمْ بِالطَّاعَةِ، بَلِ اسْتَقِيمُوا عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ، وَاسْتَدِيمُوا هَذَا الْحَالَ، فَلَقَدْ كَانَ دَأْبُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الْمُدَاوَمَةَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، وَالِاسْتِمْرَارَ فِي الْعِبَادَةِ؛ تَأَسِّيًا بِخَيْرِ الْخَلْقِ ﷺ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَطِيعُ؟. وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهُ، وَإِنْ قَلَّ».

إِنَّ الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ». وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجَلًا دُونَ الْمَوْتِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

عِبَادَ اللهِ: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا امْرَأَةً تَغْزِلُ غَزْلًا مَتِينًا، تُحْكِمُ خُيُوطَهُ، وَتُبْدِعُ فِي إِتْقَانِهِ، وَتَبْذُلُ فِيهِ جُهْدَهَا، وَتَقْضِي فِي إِتْمَامِهِ وَقْتَهَا، حَتَّىٰ إِذَا أَنْتَجَتْ غَزْلًا قَوِيًّا عَادَتْ إِلَيْهِ فَنَقَضَتْهُ، وَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَأَفْسَدَتْهُ، وَأَعَادَتْ خُيُوطَهُ سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ؛ فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهَا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ قَبُولِ الْعَمَلِ:

الْأُولَىٰ: الْوَجَلُ أَلَّا يُقْبَلَ الْعَمَلُ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ: هُمْ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مُشْفِقُونَ مِنَ اللهِ، خَائِفُونَ مِنْهُ، وَجِلُونَ مِنْ مَكْرِهِ بِهِمْ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَأَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

الثَّانِيَةُ: عَدَمُ الْعُجْبِ وَالْغُرُورِ بِالْعَمَلِ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: كُلَّمَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ فِي قَلْبِكَ، صَغُرَتْ نَفْسُكَ عِنْدَكَ، وَتَضَاءَلَتِ الْقِيمَةُ الَّتِي تَبْذُلُهَا فِي تَحْصِيلِهِ، وَكُلَّمَا شَهِدتَّ حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَحَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ، وَعَرَفْتَ اللهَ، وَعَرَفْتَ النَّفْسَ، وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا مَعَكَ مِنَ الْبِضَاعَةِ لَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ الْحَقِّ، وَلَوْ جِئْتَ بِعَمَلِ الثَّقَلَيْنِ، خَشِيتَ عَاقِبَتَهُ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُهُ بِكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَتَفَضُّلِهِ، وَيُثِيبُكَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَتَفَضُّلِهِ.اهـ

الثَّالِثَةُ: الثَّبَاتُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَيْ: حَافِظُوا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ فِي حَالِ

صِحَّتِكُمْ وَسَلَامَتِكُمْ؛ لِتَمُوتُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ قَدْ أَجْرَىٰ عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ: أَنَّهُ مَنْ عَاشَ عَلَىٰ شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ، فَعِيَاذًا بِاللهِ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ. اهـ

الرَّابِعَةُ: تَيْسِيرُ الطَّاعَةِ عَلَىٰ الْعَبْدِ. إِذَا قَبِلَ اللهُ مِنْكَ الطَّاعَةَ يَسَّرَ لَكَ أُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾. أَيْ: نُسَهِّلُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَنَجْعَلُهُ مُيَسَّرًا لَهُ كُلَّ خَيْرٍ، مُيَسَّرًا لَهُ تَرْكُ كُلِّ شَرٍّ؛ لِأَنَّهُ أَتَىٰ بِأَسْبَابِ التَّيْسِيرِ، فَيَسَّرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: إِتْبَاعُ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُصَنَّفِهِ»، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ أُخْتِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ أُخْتِهَا.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»: فَيَتَوَلَّدُ مِنَ الذَّنْبِ الْوَاحِدِ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الْمَتَالِفِ وَالْمَعَاطِبِ، الَّتِي يَهْوِي بِهَا فِي دَرَكَاتِ الْعَذَابِ، وَالْمُصِيبَةُ كُلُّ الْمُصِيبَةِ الذَّنْبُ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنَ الذَّنْبِ، ثُمَّ يَتَوَلَّدُ مِنَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثٌ، ثُمَّ تَقْوَىٰ الثَّلَاثَةُ فَتُوجِبُ رَابِعًا، وَهَلُمَّ جَرًّا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِقْهُ نَفْسٍ فِي هَذَا الْبَابِ هَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، فَالْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ آخِذٌ بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ، يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُثْمِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَإِنَّ مِنْ عِقَابِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا، وَهَذَا أَظْهَرُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ أَنْ تُضْرَبَ لَهُ الْأَمْثَالُ، وَتُطْلَبَ لَهُ الشَّوَاهِدُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: انْقَضَىٰ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَمَضَتْ لَيَالِيهِ مُسْرِعَةً، بِالْأَمْسِ كُنَّا نَسْتَقْبِلُ رَمَضَانَ، وَالْيَوْمَ وَدَّعْنَاهُ، وَلَا نَدْرِي هَلْ نَسْتَقْبِلُهُ عَامًا آخَرَ أَمْ أَنَّ الْمَوْتَ أَسْبَقُ إِلَيْنَا مِنْهُ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ أَعْوَامًا عَدِيدَةً، وَأَزْمِنَةً مَدِيدَةً. تِلْكَ الْمَحَطَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ الَّتِي تَزَوَّدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّائِرِينَ إِلَىٰ اللهِ، وَسَتُطْوَىٰ صَفَحَاتُ تِلْكَ الْأَيَّامِ بِمَا أُودِعَ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، حَقًّا إِنَّهَا أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ.